س: كـــــيف نهتم بالتوحيد؟

جمع وإعداد

إسلام محمود دربالة

س: كيف نهتم بالتوحيد؟

كيف نهتم بالتوحيد، وكيف نجعله أول أولويات الدعوة، وكيف نقوم بتأدية واجبنا تجاه الدعوة التي بعث بها رسل الله صلوات ربي وسلامه عليهم.

هذه المقترحات والوسائل التي من شأنها الاهتمام بالتوحيد ما هي إلا اجتهادات وأفكار وربما كان لدى غيري ما هو مثلها أو يزيد عليها، فلنجتهد جميعًا في الاهتمام بالتوحيد، ولنشمر عن ساعد الجر في سبيل نشر دعوة التوحيد والذود عنها.

1- تعلم التوحيد وتدارسه وضبط مسائله

قال عز وجل {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:18].

قال القرطبي: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته، كما قرن اسم العلماء(1) .

وقال سبحانه: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28].

قال ابن عباس: ((العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئًا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته وأيقن أنه ملافيه ومحاسبٌ بعمله))(2).

---

(1) تفسير القرطبي (41/4).
(2) تفسير ابن كثير (553/3).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول))[3].

وقال في موضع آخر: ((والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء)) [4].

وقال أيضًا: ((والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين: في العلم النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدًا بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق))[5].

وقال ابن حجر -رحمه الله- في أول شرحه لكتاب العلم من صحيح البخاري: ((والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته، وما يجبُ له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص))[6].

وقال ابن القيم -رحمه الله- : ((إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئًا))[7].

ولطلب العلم أصول وقواعد ذكرها أهل العلم -رحمهم الله- في غير ما كتاب ومن هذه الأصول والقواعد:

((من لم يتقن الأصول؛ حُرم الوصول))[8].

([3]) مجموع الفتاوى (136/13).
([4]) مجموع الفتاوى (369/11-397).
([5]) مجموع الفتاوى (169/19-170).
([6]) فتح الباري (141/1).
([7]) إغاثة اللهفان (68/1).
([8]) ((تذكرة السامع والمتكلم)) ص(144).

((ومن رام العلم جُملة ذهب عنه جُملة))[9].

وعليه فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وآخذًا الطلب بالتدرج.

قال الله تعالى: {وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً } [الإسراء:106].

وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } [الفرقان:32].

فأمامك أمورٌ لابد من مراعاتها في كل فن تطلبه ومن ذلك علم العقيدة.

1- حفظ مختصر فيه.

2- ضبطه على شيخ متقن.

3- عدم الاشتغال بالمطولا وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

4- لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

5- إقتباص الفوائد والضوابط العلمية.

6- جمع النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابلةٍ مُوثقة[10].

يقول الشيخ بكر أبو زيد -نفع الله به- حول طريقة تدريس التوحيد وغيره من العلوم: ((وقد كان الطَّلَبُ في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب والأخذ بحفظ

---

[9] ((فضل العلم)) لأرسلان ص: (144).

[10] حلية طالب العلم ص(25-26).

القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد: للمتبدئين، ثم المتوسطين، يم المتمكنين

ففي التوحيد: ((ثلاثة الأصول وأدلتها))، ((والقواعد الأربعة))، ثم ((كشف الشبهات))، ثم ((كتاب التوحيد))، أربعتها للشيخ محمد بنعبدالوهاب رحمه الله، هذا في توحيد العبادة.

وفي توحيد الأسماء والصفات: ((العقيدة الواسطية))، ثم ((الحَمَوية))، والتدميرية، ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ، فالطحاوية مع شرحها))[11].

جرد المطولات:

((الجرد للمطولات من أهم المهمات، لتعدد المعارف وتوسيع المبارك، واستخراج مكننها من الفوائد والفرائد، والخبرة في مظان الأبحاث والمسائل، ومعرفة طرائق المصنفين في تأليفهم واصطلاحهم فيها))[12] .

ومن الكتب الموسعة في مسائل المعتقد الأجزاء المتعلقة بالعقيدة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك في ((الدرر السنية في الفتاوى النجدية)) وكذلك في ((مجموعة الرسائل والمسائل لبعض علماء نجد)).

ومن ذلك ((منهاج السنة النبوية)).

و((درء تعارض العقل والنقل)).

---

(11) حلية طالب العلم ص(27-28).
(12) حلية طالب العلم ص: (67).

ولا تنس كتب المعتقد المسندة: ((كالشريعة)) للآجري و((السنة)) لعبد الله بن أحمد و((السنة)) للخلال، و((الإبانة)) لابن بطة العكبري وغيرها فيمر عليها وتقرأ وتقيد الفوائد.

وتلخص المسائل، وتسأل عما يشكل حتى يكون عندك مراس ودربة، ولقراءة المطولات فوائد تربوية حيث ترى مواقف أهل العلم في تعاملهم مع المسائل النازلة وإلحاقهم الأشباه بنظائرها وتخريجهم المسائل على قواعدها.

2- تربية النفس على التوحيد

جاء في ((لسان العرب)): ((ربا الشيء يَربوا ورباء)): زاد ونما - وأربيته: نميته.

وفي ((مفردات الراغب)): ((الرَّبُّ في الأصل التربية؛ وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام)).

وقال الدكتور محمد عبدالله دراز: ((التربية تفعلة من ربا؛ إذا زاد ونما فهي تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية، والاخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته))[13].

ما من مولود إلا ويولد على الفطرة كما في الحديث، ولكن مجتمعات اليوم قد تغير من تلك الفطرة بما شابها من شوائب.

فينبغي لمن هداه الله إلى فطرة التوحيد أن ينتشل نفسه من المجتمعات المشوبة بما يخال التوحيد، ويربيها على التوحيد الخالص حتى يسطيع فيما

([13]) ((كلمات في مباديء علم الأخلاق)).

بعد أن يكون مؤثرًا في مجتمعه مرشدًا الناس إلى توحيد الله.

فمثلاً إذا نزلت به النازلة فإنه يجد نفسه تضطرب وقد يضيق به الحال وقد يرشده من حوله إلى الطرق الشركية أو المشوبة بالشرك من النذر للأولياء أو الاستغاثة بغير الله أو غير ذلك من الأمور فينبغي أن يربي الموحد نفسه في تلك الشدائد فيقرأ الآيات والأحاديث التي فيها الأمر بالتوكل على الله ويتدبرها ويملأ قلبه بالإيمان بالله وبالأعمال الصالحة ويتضرع ويلجأ إلى الله عزوجل، ويصبر ويحتسب حتى يرفع الله عنه البلاء، وقد لا يرفع البلاء فيكون ذلك زيادة في الاختيار فيزداد في اللجوء إلى الله ويصبر فإن في ذلك له أجر قال صلى الله عليه وسلم : ((ما من مصيبة تصيب المؤمن))

ومن التربية على التوحيد أن يتدبر العبد أسماء الله وصفاته فإنه إذا آمن بصفات ((العلم، والإحاطة، والمعية)) أورثه ذلك الخوف من الله عزوجل المطلع عليه الرقيب الشهيد، فإذا أمن بصفة ((السمع))، علم أن الله يسمعه؛ فلا يقول إلا خيرًا، فإذا أمن بصفات ((البصر، والرؤية، والنظر، والعين)) علم أن الله يراه فلا يفعل إلا خيرًا، فما بالك بعبد يعلم أن الله يسمعه، ويراه، ويعلم ما هو قائله وعامله، أليس مري بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره؟! فإذا علم هذا العبد وآمن أن الله (يحب، ويرضى)؛ عمل ما يحبه معبوده ومحبوبه وما يرضيه، فإذا آمن أن من صفاته ((الغضب والكره، والسخط، والمقت، والأسف، واللعن)) عمل بما لا يُغضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته، فإذا آمن بصفات ((الفرح، والبشبشة، والضحك)) أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشبش لهم ويضحك لهم؛ ما عد منا خيرًا من رب يضحك.

وهكذا الحال في بقية الصفات[14] فنحن لا نريد أن تكون دراسة أسماء الله وصفاته دراسة نظرية فحسب بل دراسة تربوية أيضًا لها وقعها على النفس وأثرها في سلوك الفرد.

وكذا الحال في دراسة بقية أقسام التوحيد أقصد توحيد الربوبية والألوهية لا نريدها دراسة نظرية فحسب وإنما لها واقعها العملي وأثرها في سلوك الفرد ومنهج حياته.

3- الدعوة إلى التوحيد والحرص على نشره

الدعوة لغة: الصياح والنداء والطلب: تقول: دعوت فلانًا أي صحتُ به واستدعيته... وقد تتعدى بحرف الجر ((إلى)) فيراد بها الحثُ على فعل الشيء . تقول: دعاه إلى الشيء تعني حثه على قصده[15] .

((وفي لسان العرب: دعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه ، والاسم الدعوة... ودعوة الحق شهادة أن لا إله إلا الله...)) [16].

ورسل الله هم أعظم من دعوا إلى الله فلا تقف مهمة الرسل عند بيان الحق وإبلاغه، بل هم حريصون على دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم، والاستجابة لها، وتحقيقها في أنفسهم اعتقادًا وقولاً وعملاً، وهم في ذلك ينطلقون من منطلق واحد، فهم يقولون للناس أنتم عباد لله، والله هو ربكم وإلهكم، والله أرسلنا لنعرفكم كيف تعبدوه، ولأننا رسلٌ لله مبعوثون من عنده فيجب عليكم أن تطيعونا وتتبعونا {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا

---

[14] انظر ما تقدم في ((ثمرات الإيمان بصفات الله عزوجل)).

[15] انظر ((الصحاح)) للجوهري (2336/6).

[16] ((لسان العرب)) لابن منظور (1386/2).

اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]. {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:25] وكل رسول قال لقومه: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 150،144،136،108، 179،163] وقد بذل رُسل الله في سبيل دعوة الناس جهودصا عظيمة، وحسبك في هذا أن تقرأ أيات سورة نوح لترى الجهد الذي بذله واحدٌ من أنبياء الله على مدار تسعمائة وخمسين عامًا، فقد دعاهم ليلاً ونهارًا. سرًا وعلانية، واستعمل أساليب الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وحاول أن يستثير عقولهم وفطرهم، وأن يوجهها إلى ما في الكون من آيات وهكذا الدعاة إلى الله لهم قدوة في أنبياء الله ورسله وقد قال الله عز وجل أمرًا نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال عز وجل: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:108].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ((يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للناس هذا سبيلي أي طريقي ، التي أدعوا إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله، وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق، والعمل به، وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له.

{أدعو إلى الله} أي أحث الخلق والعباد، على الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك، وأرهبهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا {على بصيرة} من ديني، أي على علم ويقين، ومن غير شك ولا امتراء، ولا مرية.

{أنا و} كذلك {من اتبعني} يدعو إلى الله، كما أدعو، على بصيرة من أمره.

{وسبحان الله} عما ينسب إليه، مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.

{وما أنا من المشركين} في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصًا له الدين)) (17).

وقال سبحانه {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ((هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً أي كلامًا وطريقةً، وحالة {ممن دعا إلى الله} بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها معما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه.

خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله، وسنة رسوله، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه.

ومن ذلك الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين ومن ذلك الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، بما تشمله الدعوة

([17]) تيسير الكريم المنان (63/4).

إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: {وعمل صالحًا} أي مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرضي ربه.

{وقال إنني من المسلمين} أي المنقادين لأمره السالكين في طريقه، وهذه المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم، وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل.

كما أن من أشر الناس قولاً من كان من دعاة الضلال السالكين لسبله.

وبين هاتين المرتبتين المتباينتين، اللتين ارتفعت إحدهما إلى أعلى عليين، ونزلت الأخرى إلى أسفل سافلين مراتب لا يعلمها إلا الله، وكلها معمورة بالخلق، {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}))(18) .

ومن سبل الدعوة إلى التوحيد:

1- إقامة الدروس المستمرة في المساجد والبيوت.

2- الإكثار من المحاضرات والندوات حول التوحيد.

3- نشر كتب التوحيد في جميع أنحاء العالم فحاجة الناس إليها أشر من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

4- استثمار جميع الفرص الناسخة لنشر عقيدة أهل السنة والجماعة وسلف الأمة.

جاء في رسالة وجهها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله إلى

---

(18) تيسير الكريم المنان (576-575/6).

القضاة ليحثوا الناس على أداء الصلاة جماعة في المساجد ويذاكروا العامة أصول دينهم ما نصه:

((يتعين على إمام كل مسدد أن يقوم بعد صلاة فجر كل يوم بتعليم ثلاثة أشخاص من جماعة مسجده أو أكثر حسب الاستطاعة أصول الدين، كمختصر ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة، وأن يتعاهد جماعة مسجده بالنصيحة والتذكير والدرس، ويعقد لهم مجلسًا يوميصا يسألهم فيه عن أمور دينهم، ويعلمهم ما يخفى عليهم فيها، ومن طلب مهلة لتذكرها وتحفظها فيمسهل، ومن امتنع من ذلك يلزم به من قبل الإمام والمؤذن والهيئة ، وإن لم يمتثل فيرفع باسمه إليكم لتقوموا حوله بما يلزم براءة الذمة ونصحًا للأمة))(19) .

4- الصبر على الأذى في سبيل التوحيد

((إن الصبر وهو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها، وعن معصية الله تعالى حتى لا تقربها، وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تجزع له ولا تسخط عليه، هذا هو الصبر في مواطنه الثلاثة وهو خلق من أشرف الأخلاق وأسماها، وهو خلق مكتسب يحمل العاقل عليه نفسه ويروضها شيئًا فشيئًا حتى يصبح ملكة لها ثابتة عفوًا بدون طلب يدل على ذلك أمره تعالى رسوله به في غير موطن من كتابه العزيز، وذلك كقوله تعالى {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف:35] وقوله: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ}، وقوله في أمر كافة المؤمنين به: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل

---

(19) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- (1/89-90).

عمران:200] وقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثًا وعشرين سنة، فلم يجزع يومًا، ولم يتخل عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها، وباستعراضنا المواقف التالية تتجلى لنا حقيقة الصبر المحمدي الذي هو فيه أسوة كل مؤمن وداعية إلى التوحيد في معترك هذه الحياة.

صبره صلى الله عليه وسلم على أذى قريش طيلة ما هو بين ظهرانيها بمكة، فقد ضربوه، وألقوا سلى الجزور على ظهره، وحاصروه ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالإعدام، وبعثوا رجالهم لتنفيذه فيه إلا أن الله سلمه وعصم دمه، كل هذا لم يرده عن دعوته، ولم يثن عزمه عن بيانها وعرضها على القريب والبعيد.

صبره صلى الله عليه وسلم عام الحزن، حيث ماتت خديجة الزوجة الحنون ومات العم الحاني الحامي المدافع أبو طالب، فلم تفتّ هذه الرزايا من عزمه، ولم توهن من قدرته؛ إذ قابل ذلك بصبر لم يعرف له نظير.

صبره في كافة حروبه في بدر وفي أحد وفي الخندق وفي الفتح وفي حنين وفي الطائف وفي تبوك، فلم يجبن ولم ينهزم، ولم يفشل، ولم يكل ولم يمسل حتى خاض حروبًا عدة، وقاد سرايا عديدة، فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات، فأي صبر أعظم من هذا الصبر.

صبره على تأمر اليهود عليه بالمدينة وتحزيبهم الأحزاب لحربه والقضاء عليه وعلى دعوته.

صبره على الجوع الشديد فقد مات ولم يشبع من خبز شعير مرتين في

يوم واحد قط.(20)

إلى غير ذلك من صور صبره صلى الله عليه وسلم طيلة حياته وفي خلال دعوته، فلم يكل ولم يمل، ولم يضجر حتى أذن الله بنصرة هذا الدين وانتشاره، وإظهاره على جميع الأديان)).

إن الابتلاء في سبيل الله تعالى سنة الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال صلى الله عليه وسلم : ((أشد الناس بلاء)) الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا أشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة(21)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مبينًا أن من سنة الله عز وجل في خلقه أن من جمع بين الصبر والإيمان عند الشدائد والمحن ينصره الله وينتقم له من حزب الشيطان: قال -رحمه الله-: ((والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن.

لكن بما اقتضته حكمته، ومضت به سننه من الابتلاء والامتحان، الذي يخلص الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان، إذ قد دل كتابه على أنه لابد من الفتنة لكل من الداعي إلى الإيمان والعقوبة لذوي السيئات والطغيان.

قال الله تعالى: {الـم(1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ

([20]) انظر ((هذا الحبيب يا محب)) للشيخ أبي بكر الجزائري ص(533-534).
([21]) رواه الترمذي (2398) وقال: حسن صحيح ، وابن ماجه (4023)، وأحمد (172/1) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الْكَاذِبِينَ (3) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }[العنكبوت:1-4]

فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يَفُتون الطالب وأن مدعي الإيمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب))[22].

كم تعب العلماء في أداء أمانة العلم عبر التاريخ الإسلامي الطويل؟

وكم أوذوا لأجل صمودهم على الحق رغم أنوف خصومهم عن أهل البدع والأهواء؟

وكم خاضوا أفضل جهاد بقولهم الحق وصدعهم بالهدى أمام قوى الطغيان والبغي؟

((إن من خصائص الداعية إلى التوحيد أنه كبير الهمة، ولا يترخص في السكوت عند غلبة أهل الأهواء والضلالات وعند قوة أهل الفجور واشتداد أذاهم، لأنه يرى أن الترخص هنا من شأن العامة من المستضعفين أما دعاة التوحيد أصحاب الهمم العالية فيتمسكون بالعزيمة، ويصدعون بالحق وإن لحقهم الأذى والعذاب والموت، وقد تجسد هذا المعنى جليًا في موقف إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى من محنة القول بخلق القرآن)) [23] .

وهذا طرفٌ من محنته رحمه الله ورضي عنه كما يرويه ابنه صالح: قال صالح: قال أبي: ((لم جيء بالسياط نظر إليها المعتصم وقال: ائتوني بغيرها ثم، ثم قال للجلادين: ((تقدموا))فجعل يتقدم إلى الرجل منهم

([22]) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (212/3).
([23]) علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل ص(274) تصرف .

فيضربني سوطين، فيقول له: ((شد قطع الله يدك))، ثم ينتحي، ويقوم الآخر، فيضربني سوطين وهو يقول في كل ذلك شد قطع الله يدك)) فلما ضُربت تسعة عشر سوطًا قام إلي، يعني المعتصم: وقال: ((يا أحمد علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق)) قال: فجعل عُجيف ينخسني بقائمة سيفه، وقال: ((أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم))، وجعل بعضهم: ((يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، اقتله)) ، وجعلوا يقولون: ((يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في الشمس قائم)) فقال ليس: ((ويحك يا أحمد، ما تقول))، فأقول: ((أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول به)) ، فرجع وجلس، وقال للجلاد: ((تقدم أوجع، قطع الله يدك)) ثم قام الثانية، فجعل يقول: ((ويحك يا أحمد أجبني)) ، فجعلوا يقبلون علي ويقولون: ((يا أحمد إمامك على رأسك قائم)) وجعل عبدالرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع وجعل المعتصم يقول: ((ويحك أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أُطلق عنك بيدي))، فقلت: ((يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله)) ، فيرجع، وقال للجلادين : ((تقدموا)) فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: ((شد قطع الله يدك)) قال أبي : فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني، فقال لي رجل ممن حضر: ((إنا كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودُسناك)) قال أبي : فما شعرتُ بذلك، وأتوني بسويق فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: ((لا أفطر))، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سَماعة فصلى، فلما تمفتل كم تلصلتو قتل لي: ((صليت والدم يسيل في ثوبك)) فقلت: قد صلى عمر وجرحه يَثْعبُ دمًا)).

قال صالح: ((ثم خُلي عنه فصار إلى منزله، وكان مكثه في السجن منذ

أخذ وحمل إلى أن ضرب وخلي عنه، ثمانيةً وعشرين شهرًا.

ولقد أخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه، قال: يا ابن أخي، رحمة الله على أبي عبدالله، والله ما رأيتُ أحدًا يشبهه، ولقد جعلتُ أقول له في وقت ما يُوجه إلينا بالطعام: ((يا أبا عبدالله، أنت صائم، وأنت في موضع تَسقية))[24] ، ولقد عطش فقال: لصاحب الشراب: ((ناولني))، فناوله قدحًا فيه ماء وثلج، فأخذه ونظر إليه هنيَّة، ثم رده ولم يشرب! فجعلتُ أعجب من صبره على الجوع والعطش، وهو فيما هو فيه من الهول))[25] اهـ.

([24]) علق العلامة أحمد شاكر رحمه الله هنا قائلاً: ((التقية إنما تجوز للمستضعفين الذين يخشون أن لا يثبتوا على الحق، والذين ليسوا بموضع القدوة للناس، هؤلاء يجوز لهم أن يأخذوا بالرخصة، أما أولو العزم من الأئمة الهداة، فإنهم يأخذون بالعزيمة ويحتملون الأذى وثبتون، وفي سبيل الله ما يلقون ولو أنهم أخذوا بالتقية الأذى وثبتون ، وفي سبيل الله ما يلقون ولو أنهم أخذوا بالتقية، واستساغوا الرخصة لضل الناس من ورائهم، يقتدون بهم، ولا يعلمون أن هذا تقية، وقد أتي المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق، لا يصدعون بما يؤمرون، يجاملون في دينهم وفي الحق، لا يجاملون الملوك والحكام فقط، بل يجاملون كل من طلبوا منه نفعًا، أو خافوا منه ضرًا، في الحقير والجليل من أمر الدنيا. وكل أمر الدنيا حقير. فكان من ضعف المسلمين بضعف علمائهم ما نرى.

ولقد قال رجل من أئمة هذا العصر المهتدين، فيما كتب إلى أبي رحمه الله، في جمادى الأولى سنة 1337هـ، قال: كان المسلمين لم يبلغهم من هداية كتابهم فيما يغشاهم من ظلمات الحوادث غير قوله تعالى: {إلا أن تتقوا منهم تقاة} ثم اصيبوا بجنون التأويل فيما سوى ذلك، ولستُ أدري وقد فهموا منها ما فهموا، كيف يقولون بوجوب الجهاد، وهو إتلاف للنفس والمال؟! وكيف يفهمون تعرضه صص لصنوف البلاء والإيذاء؟! ولماذا يؤمنون بكرامة الشهداء والصابرين في البأساء والضراء على الله)) ؟! اهـ. من تعليق الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- على ((ترجمة الإمام أحمد)) للذهبي ص(49-50).

([25]) ((ترجمة الإمام أحمد)) للحافظ الذهبي ص(48-50).

وقد علق الإمام أبو الفرج بن الجوزي على موقف الإمام أحمد -رحمه الله- قائلاً: ((هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال نفسه، وقد روينا عن سعيد بن المسيب: ((أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى أهون من نفس ذباب))، وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب، فعيون البصائر ناظرةٌ إلى المال، لا إلى الحال، قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يبتلى المرء على حسب دينه))، فسبحان من أيده و بصَّره وقواه ونصره))(26) .

ومن هؤلاء الأبطال الذين أوذوا في سبيل الله وكانت دعوتهم نبراسًا للدعاة إلى الله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

يقول تلميذه الإمام الذهبي: ((لقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وهابوا وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه، وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر منه من الورع، وكمال الفكرة، وسرعة الإدراك والخوف من الله العظيم.

فجرى بينه وبينهم من حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله تعالى، فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية))(27) .

---

(26)
(27) الرد الوافر (70-71).

وإليكم دعاة التوحيد الخطوط العريضة لحياة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في السجون والمعتقلات مع بيان الأسباب التي سجن لأجلها[28].

(1) سنة 693هـ:

اعتلقله نائب السلطان أول مرة لمدة قليلة، بسبب قيامه على عساف النصراني الذي شتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم أطلقه مكرمًا ومعززًا.

وقد نسب أعداؤه أنه استغل هذا الحادث لإثارة العامة من الناس.

وعلى إثر ذلك كتب كتابه ((الصارم المسلول على شاتم الرسول)) [29]

.

(2) سنة 705هـ:

سعى قوم من الجهمية، والاتحادية، والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد الموالين للتتار سرًا إلى السلطان، فورد كتاب منه من الديار المصرية إلى نائبة أمير البلاد: أن يسأل ابن تيمية عن أمر الاعتقاد فناقشوه في ثلاثة مجالس حول العقيدة الواسطية[30].

واشترك في هذه المجالس الثلاثة المعقودة لمناظرته كبار قضاة الدولة وفقهائها، أمثال:

---

[28] بينتُ ذلك باختصار ومتن أراد التوسع فليرجع إلى الدراسة القيمة التي كتبها الشيخ صلاح الدين مقبول بعنوان: ((دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة)) ص(27).

[29] راجع البداية والنهاية (335/14).

[30] راجع حول هذه المجالس الثلاثة مجموع فتاوى شيخ الإسلام (160/3-201).

- صفي الدين الهندي الذي كان شيخ الموجودين كلهم.

- وكمال الدين الزملكاني الشافعي.

- وصدر الدين بن الوكيل وغيرهم (4).

قال ابن رجب: ((... ووقع الاتفاق على أن هذه عقيدة سنية سلفية.

وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ وتبين لنا أنه على عقيدة السلف)) (31)

(3) سنة 707هـ:

شكر الصوفية من شيخ الإسلام أمورًا إلى الدولة، لم يثبت عليه شيء منها، وفوضت الدولة أمره إلى الفقهاء والقضاء.

فبعض الفقهاء، قال ليس على ابن تيمية شيء فيها قال في ابن عربي ورأى ابن جماعة أن ذلك فيه سؤ أدب.

ثم خيرته الدولة بين أمور: إما أن يسير إلى الإسكندرية، أو إلى دمشق بشروط، إما أن يودع في السجن، ففضل حياة السجن على البقاء خارجه مكمم الأفواه.

ولكن بالحاح بعض أحبائه رضي أن يسير إلى دمشق، فلما كان في الطريق ردوه إلى مصر ثانية، فحضر عند ابن جماعة، وعنده جمع من الفقهاء، فقال بعضهم: إن الدولة لا ترضى إلا بحبس ابن تيمية.

وطلب ابن جماعة من القاضي المالكي أن يحكم عليه بالسجن، فامتنع القاضي وقال: كيف أحكم عليه بالسجن ولم يثبت ضده شيء.

---

(31) راجع الذيل على طبقات الحنابلة (396- 403).

فطلب من القاضي نور الدين الزواوي المالكي، فتوصف أيضًا، ولما رأى شيخ الإسلام هذه المهزلة تقدم بنفسه إلى السجن قائلاً ((أنا أمضي إلى السجن بنفسي وأتبع ما فيه المصلحة)) [32] .

(4) سنة 708هـ:

بقى الشيخ في الاسكندرية وحيدًا بدون أن يرافقه أحد فخيف على حياته، حيث تأثر كثير من الناس بدعوته هناك، وحاول الصوفية اغتياله فنجا من مؤامرتهم، ولكنهم نجحوا في إيداعه السجن في الإسكندرية وأوذي كثيرًا.

ولما تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة 709هـ مرة ثانية، أفرج عن شيخ الإسلام[33] .

(5) سنة 718هـ:

ورد مرسوم من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بأنه يمين يُكفر عنه، ثم عقد له مجلس بدار السعادة، ومنع من ذلك، ثم عقد له مجلس في سنة 719هـ تأكيدًا للمنع، ولكنه لم ينته عما رآه حقًا، حتى عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك وحكم عليه بالسجن، وحبس بالقلعة[34].

(6) سنة 720هـ:

حبس لأجل إفتائه في مسألة الطلاق مرة أخرى ومنع بسببه من الفتيا مطلقًا فأقام مدة بفتي بلسانه ويقول: ((لا يسعني كتم العلم)).

([32]) البداية والنهاية (14/53-54).
([33]) العقود الدرية ص(296).
([34]) البداية والنهاية (14/87، 93، 97).

وحكم عليه بالسجن في هذه المرة القاضي نجم الدين بن صلى الله عليه وسلم رَّى فقال له: حكمك باطل، لأنك عدو لي.

فلم يقبل منه وزُجَّ في السجن[35].

(7) سنة 722هـ:

ورد مرسوم باعتقال شيخ الإسلام في مسألة شد الرجال إلى الأضرحة والقبور، بعد ما وشى به إلى السلطان أهل البدع والأهواء[36].

(8) سنة 726هـ:

هذا آخر ماوقع لشيخ الإسلام من الحكم بالسجن، وسبه في هذه المرة أيضًا هو مسألة شد الرحال إلى الأضرحة والقبور.

حيث استغل أعدائه فتواه التي أفتى بها قبل سبع عشرة سنة، وحرفوا كلمه، وغيروا ألفاظه، وشعوا عليه بما لم يقل به فأفتى بحبسه طائفة من أهل الأهواء وعلى رأسهم: القاضي الإخنائي المالكي[37].

وعومل شيخ الإسلام معاملة سيئة في السجن في هذه المرة، وأخرج ما كان عنده من الكتب والأوراق والدواة والقلم، ومع من الكتابة والمطالعة. غير أن هذه الحالة لم تدم طويلاً، إذا جاءه أجله المحتوم ولق بالرفيق الأعلى في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة 728هـ، بالقاعة التي كان محبوسًا بها في قلعة دمشق[38] .

---

[35] المصدر السابق (97/14).
[36] راجع كتاب الرد على الأخنائي -لشيخ الإسلام- حول هذه المسألة.
[37] البداية والنهاية (123/14).
[38] راجع البداتية والنهاية (137/14-140).

وهكذا توفي شيخ الإسلام (661-728هـ) في السجن بعد جهادٍ طويل، وكفاح مرير ضد كل فتنة داهمت بلاد الإسلام في عصره، وقد أقض مضاجع أهل البدع والأهواء من الفلاسفة والمتكلمين، والصوفية والرافضة، والنصيرية والنصارى وغيرهم، بقلمه وبيانه، وسيفه وسنانه.

ورحمه الله إذ يقول لأعدائه: ((... فأنا على أي شيء أخاف؟ إن قُتلت كنتُ من أفضل الشهداء! وكان علي الرحمة والرضوان إلى يوم القيامة! وكان على من قتلني اللعنة الدائمة في الدنيا و العذاب في الآخرة! ليعلم كل من يؤمن بالله ورسوله أني إن قتلت لأجل دين الله، وإن حبست فالحبسُ في حقي من أعظم نعم الله علي. ووالله ماأطيق أن أشكر نعمة الله عليّ في هذا الحبس، وليس لي ما أخاف الناس عليه!لا إقطاعي، ولا مدرستي، ولا مالي، ولا رياستي وجاهي.

وإنما الخوف عليكم إذا ذهب ما أنتم فيه من الرياسة والمال وفسد دينكم الذي تنالون به سعادة الدنيا والآخرة))[39] .

5- محبة أهل التوحيد وموالاتهم وبغض أهل الكفر ومعاداتهم:

قال عز وجل : { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: 55-56].

قال السعدي: ((ولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى، فكل من كان مؤمنًا تقيًا، كان لله وليًا، ومن كان لله وليًا، فهو ولي لرسوله.

ومن تولى الله ورسوله، كان تمام ذلك، تولي من تولاه، وهم المؤمنون

([39]) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (215/3-216).

الذين قاموا بالإيمان، ظاهرًا وباطنًا، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم الصلاة، بشروطها، وفروضها، ومكملاتها، وأحسنوا للخلق بشروطها، وفروضها، ومكملاتها، وأحسنوا للخق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم.

وقوله: {وَهُمْ رَاكِعُونَ} أي : خاضعون لله ذليلون.

فأداة الحصر في قوله { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم.

ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال: { وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.

أي فإنه من الحزب المضافين إلى الله، إضافة عبودية وولاية، وحز به الغالبون، الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}

وهذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله، وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة.

وإن أديل عليهم في بعض الأحيان، لحكمة يريدها الله تعالى، فأخر أمره، الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلا)) (40) .

ومن لوازم موالاة الله ورسوله والمؤمنين معادة أهل الشرك والكفر والباطل.

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-: ((اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل

([40]) تيسير الكريم الرحمن (2/310-311).

قوله تعالى {بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النحل: 36].

فأما صفة الكفر بالطاغوت، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتكفر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو المعبود وحده، دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم وتبغض أله الشرك وتعاديهم وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة الحسنة التي أخبر الله بها في قوله: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:4]))(41) .

وقال عزوجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة: 57].

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: ((ينهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن سائر الكفار؛ أولياء يحبونهم، ويتولونهم، ويبدون لهم أسرار المؤمنين ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين.

وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم.

---

(41) الدرر السنية (161/1).

وكذلك التزامهم لتقوى الله، التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما يدعوهم إلى معاداتهم)) (42) .

6- غرس التوحيد في نفوس الناشئة وتلقينهم مسائلة وتربيتهم عليه

وفي حديث ابن عباس المشور أكر دليل على ذلك قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقالك يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقالام وجفت الصحف . رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: ((احفظ الله تجده أمامك، تَعرف إلى الله في الرخاء يَعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك ، وما أصابك لم يكن ليُخطئك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا))(43) .

فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يخص ابن عباس بهذه الموعظة والنصيحة بل يغرس فيه أسس وركائز العقيدة، وهو ما زال غلامًا حدثًا.

قال ابن رجب: ((وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين)) (44) .

---

(42) تيسير الكريم المنان (311/2-312).
(43) رواه أحمد (293/1)، وأبو يعلى (2556)، والترمذي (2516).
(44) جامع العلوم والحكم (462/1).

فقوله صلى الله عليه وسلم : ((احفظ الله)) يعني احفظ حدوده وحقوقه، وأوامره ونواهيه، وحفظُ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهي عنه، فمن فعل ذلك، فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه...)).

وقوله: ((احفظ الله تجده تجاهك)) معناه: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده فـ {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: 128] قال قتادة: من يتق الله يكنى معه...

وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: {لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: 46].

وقول موسى: {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: 62] وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وهما في الغار ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا))[45].

فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله تعالى : {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: 7]... فإن هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه، والمعية الأولى تقتضي حفظ العبد وحياطته ونصره، فمن حفظ الله، وراعى حقوقه، وجده

([45]) رواه من حديث أبي بكر أحمد (24/1) والبخاري (3653) و(3922)و (4663)، ومسلم (2381)، والترمذي (3096).

أمامه وتُجاهه على كل حال، فاستأنس به، واستغنى به عن خلقه.

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة)).

يعني أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رفائه، فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفةٌ خاصة، فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له، وإجابته لدعائه.

فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدهما المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان وهذه عامة للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيئة له ، وهذه المعرفة الخاصة.

ومعرفة الله أيضًا لعبده نوعان:

معرفة عامة، وهي علمه سبحانه بعباده، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه كما قال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} [ق:16] وقال: {وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: 32].

والثاني: معرفة خاصة وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد.

وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه: ((ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه

الذي يسمع به،وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فلئن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)) (46).

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت، فاستعنى بالله)) هذا منتزعٌ من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه،والدعاء هو العبادة، كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير، وتلا قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر: 60] خرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجه(47) .

فأما السؤال، فقد أمر الله بمسألته، فقال: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ} [النساء: 32].

والله سبحانه يحب أن يُسأل ويُرغب إليه في الحوائج، ويلح في سؤاله ودُعائه ويَغضب على من لا يسأله، ويستدعي من عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن يَنقص من ملكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك كله: يكره أن يُسأل، ويُحبُ أن يُسأل لعجزه وفقره وحاجته...

وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجزٌ عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ونياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله، فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول.. ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً، كتب الحسنى إلى عمر بن عبدالعزيز: ((لا

---

(46) رواه البخاري (6502).

(47) رواه أحمد (267/4) وأبو داود (1479)، والترمذي (3247)، وابن ماجه (3828)، والحاكم (490/1).

تستعنى بغير الله فيكلك الله إليه)) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلابشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)).

والمراد: أن ما يُصيب العبدَ في دنياه مما يضره أو ينفعه، نكله مقدَّر عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كُتب له من ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعًا.

وقد جل القرآن على مثل هذا في قوله عز وجل: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة: 51] وقوله : {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا} [الحديد: 22].

واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذُكر قبله وبعده، فهو متفرعٌ عليه، وراجعٌ إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يُصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر ، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مغير البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر، ولا يُغني عن عباده شيئًا، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعصا، وأن يتقي سخطه، ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا، وإفراده بالاستعانة به، والسؤال به، وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند

الشدائد، ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه قال الله عز وجل {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُون} [الزمر: 38].

قوله صلى الله عليه وسلم : ((رُفعت الأقلام وجفت الصحف)) .

هو كناية عن تقدُّم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمدٍ بعيد.

وقد دل الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى، قال الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد:22].

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلُقَ السموات والأرض بخمسين ألف سنة))[48]

هذه بعض الخطوط الرئيسية في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس وقد كان غلامًا لم يناهز الاحتلام.

فحريٌ بنا أن نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ونغرس هذه الأسس في نفوس الناشئة، ونزرع في قلوبهم أسسا العقيدة الصحيحة حتى إذا ما شبوا وكانوا رجلاً كانت عندهم أسس وقواعد راسخة يرتكزون عليها، ويواجهون بها زحف العقائد الباطلة والمذاهب الضالة والنحل المنحرفة[49].

([48]) صحيح مسلم (2653).
([49]) انظر لما تقدم جامع العلوم والحكم - لابن رجب (459/1- 495).

7- جمع الأمة على أساس التوحيد

فمن سمات أهل السنة الجماعة أنهم يدعون إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصف ونبد الفرقة والخلاف، والله -عزوجل- يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103].

وقال ابن مسعود: ((الخلاف شر))

ومن ذلك يتضح أن جمع الكلمة وتأليف القلوب مطلب شرعي وهدف سام، ولكن مما يلحظ في هذا الجانب أن هناك من اعتبر هذا الاجتماع مراد لذاته، بغض النظر عما ينتج عنه، وهذا خطأ في الفهم وقصور في التصور، لأن الهدف هو الاجتماع على كلمة الحق، والتعاون على البر والتقوى، وذلك لأن الاجتماع والاتفاق إن لم يكنى على التقوى والطاعة سيكون على الإثم والعدوان، ولذلك أمر الله بالتعاون على البر والتقوى فقال: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة:2].

والذين جعلوا الاجتماع هو الغاية والهدف؛ تساهلوا في أمر التوحيد، ولم يجعلوه من الأصول التي يجتمعون عليها بل تجد بعضهم يمنع أتباعه من إثارة قضايا العقيدة بحجة أن هذا الأمر سيكون عائقًا أمام وحدة كلمة المسلمين.

بل تجد بعض أولئك يقول: إن طرح مسائل العقيدة تؤدي إلى الفرقة والخلاف.

يقول الشيخ عبدالعزيز القاري موضحًا هذه المسألة: ((إننا وجدنا أنفسنا أمام طوائف تنتسب إلى العلم والدعوة والتوجيه تخالفنا وتنازعنا في هذا المبدأ فقتول: إن قضية التوحيد في هذا العصر ليست هي القضية الأولى،

وإن كانت قضية مهمة أساسية، إننا في عصر نحتاج فيه إلى التأليف بين كل من يقول لا إله إلا الله لنواجه التحديات والأخطار من إلحاد وغير ذلك.

وآخرون وإن كانوا يتفقون معنا على هذا المبدأ، ولكنك تراهم يناقضونه ويضادونا عمليًا، فإذا اكشفت عن اعتقاد أحدهم وجدته أحوج ما يكون إلى تصحيح اعتقاده هو أولاً، وهذه مصيبة كبرى إذا كانت فيمنى يتصدر للتعليم والدعوة والتوجيه، فكيف يصحح عقائد الناس من هو أحوج منهم إلى تصحيح عقيدته)) (50) .

فإلي ماذا يدعوا أولئك وهم مخالفون لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالبدء بالدعوة إلى التوحيد.

وإلى ماذا يدعون وهم مخالفون لهدي أنبياء الله جميعًا في دعوتهم وإلى هؤلاء وأمثالهم نسوق كلام الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية يقول -رحمه الله-: ((اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف:59]. وقال هود عليه السلام لقومه اعبدوا الله مالكم من إله غيره} [الأعراف: 85]. وقال صالح عليه السلام لقومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: 73] وقال شعيب عليه السلام لقومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: 85] وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36] وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25].

([50]) رسالة العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون ص(8).

وقال صلى الله عليه وسلم : ((أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله))[51] .

ولهذا كان الصحيح أن أول واجبٌ يجب على الملكف شهادة ألا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كماهي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبر الشهادتان... فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)) [52] وهو أول واجب وآخر واجب)) [53] .

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه لاله- في نصيحةٍ له: ((أوجه خطابي هذا إلى كافة المسلمين... نصيحة لهم وبراءة للذمة، ورجاء أن يتنبهوا من غفلتهم ويستيقظوا من رقدتهم، ويصير أكبرهمهم وجل بحوثهم وعامة كتاباتهم وإرشاداتهم حول تحقيق معرفة ما هم إليه أشد شيء ضرورة من بيان حقيقه ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل ضرورتهم إلى ذلك أعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب، بل أعظم وأكبر من ضرورتهم إلى النفس، فإن المتكلمين من الكتاب والمرشدين وسواهم ممن يلم بجنس هذه الأمور قد اختلفت وجهتهم وافترقت مغازيهم في كتاباتهم وإرشاداتهم، ذلك بحسب أختلاف وافتراق ما يدور في أفكارهم ويستقر في تصوراتهم، ويحسن في أنظارهم من حيث المهمات والأهميات لا فرق في ذلك بين المتكلم والمرشد الديني والمتكلم خلافه.

([51]) متفق عليه.

([52]) رواه الحاكم.

([53]) شرح الطحاوي ص(77-78).

وأجد من يتكلم عن الأمور الدينية أكثرهم أوكلهم إلا من شاء الله لا يكتبون ولا يرشدون إلا في أمور هي في الحقيقة من الفورع والمكملات، فتجد الكاتب، وتجد المرشد لا يتكم إلا حول فرضية الصلاة مثلاً ووجوب فعلها في جماعة أو الحج، أو صيام رمضان، أو الزكاة وأشباه ذلك. أو في أشياء من المحرمات كالربا والتعدي على الأنفس والأموال والأعراض وغير ذلك من المعاصي والمخالفات، ونعم ما فعلوا وحسن طريقًا ما سلكوا، ولكنهم كانوا عن أهم الأهم في بعد إلى الغاية، فقد كان خير الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول بعثته ومبدأ دعوته يبدأ بالأهم فالأهم، وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنوات من بعثته قبل فرض الصلاة التي هي عمود الإسلام وما بعدها من الأركان كل ذلك في بيان التوحيد والدعوة إليه، وبيان الشرك وتهجينه والتحذير منه.

وأول سورة أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم في رسالته سورة: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر:1-7].

وكان صلى الله عليه وسلم يسلك في الإنذار عن الشرك والدعوة إلى التوحيد شتى الطرق ويسعى في حثه الناس لإبلاغهم ذلك بكل ما يمكنه حتى إنه مرة صعد على الصفا صلى الله عليه وسلم رافعًا صوته وأصباحاه فلما أجتمعوا إليه قال: يا أهيا الناس إني نزيرٌ لكم بين يدي عذابٌ شديد فحقيقٌ بالمسلمين ولا سيما العلماء أن يجعلوا كبير عنايتهم ومزيد اهتمامهم بمعرفة حقيقة ما بعث الله به الرسل من أولهم إلى آخرهم وخاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وتعليمهم ذلك والعمل به ظاهرًا وباطنًا والموالاة والمحبة والتناصح فيه، والتواصي به: من توحيد الله تبارك وتعالى في ربوبيته، وفي ذاته تبارك وتعالى، وأسمائه وصفاته

وأفعاله، وفي إلهيته وما يستحق من عبادته وحده لا شريك له، وأنه ما في العالم علويه وسفليه من ذات أوصفة أو حركة أوسكون إلا الله خالقه لا خلاق غيره، ولا رب سواه، وأن يوجد سبحانه وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، بأن يؤمن أنه تعالى واحد أحد فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه حي قيوم، على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه تبارك وتعالى سميع بصير، يرضى ويسخط، ويحب وَيُحب، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من هذا الباب إثباتًا بريئًا من تشبيه المشبهين، كما نزهه تبارك وتعالى عن جميع ما لا يليق بجلاله وعظمته تنزيهًا بريئًا من تعطيل المعطلين، وأن يوحد تبارك وتعالى في ألوهيته بأن يُفرد بجميع أنواع العبادة، فلا يعبد إلا إياه، ولا يدعى أحدٌ سواه، ولا يسجد إلا له ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه ، ولا يستعان ولا يستغاث إلا به، ولا ينحر ولا ينذر إلا له، ولا يخشى ولا يخاف أحدٌ سواه، ولا يرجى إلا إياه، حتى يكون سبحانه وتعالى هو المفزع في المهمات، والملجأ في الضرورات، ومحط رحل أرباب الحاجات في الرغبات والرهبات وفي جميع الحالات، فهذا هو مضمون أصل الدين وأساسه المتين شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأصله الثاني شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم نطقًا واعتقادًا وعملاً، وهو طاعته فيما أمر وتصديقه في جميع ما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الرب تبارك وتعالى إلا بما شرعه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تقدم محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، وأن يحكم صلى الله عليه وسلم في القليل والكثير والنقير والقطمير كما قال تعالى: { فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا} [النساء: 65].

ومن المهم جدًا اتصال المسلمين بعضهم ببعض اتصالاً خاصًا وأن يتذاكر بعضهم مع بعض في هذه هذه الأصول العظيمة، وأن يبذلوا جميعًا غاية جهودهم ونهاية قدرهم في البحث الدقيق في تفاصيلها، ويحرصوا كل الحرص في تطبيق اعتقاداتهم ومساعيهم وأعمالهم عليها، وأن يتبادلوا النصائح الصادقة فيما بينهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، وأن يكونوا شيئًا واحدًا في العمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، يدًا واحدةً في الذب عن حوزة الدين، ومناوأة أعدائه من الكفار والمشركين فإن الأخذ بذلك هو سبب السعادة والسيادة والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة))(54) .

سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- عن معنى هذا البيت:

أول واجب على الإنسان   معرفة الإله باستيقان

فقال رحمه الله:

المسألة المسئول عنها وهي معرفة الإله، ما هي؟ ينبغي التفطنى لها، فإنها أصل الدين؛ وهي الفارقة بين المسلم والكافر، وأصل هذا قوله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف:36] وذكرُ الرحمن هو القرآن؛ فلما طلبوا الهداية من غيره أضلهم الله، وقيض لهم الشيطان، فصدهم عن أصل الأصول؛ ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون.

وبيان ذلك: أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية، يعني معرفة الإنسان،

---

(54) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (1/85-88).

أن له خالقًا، فإنها ضرورية فطرية، بل معرفة الإله: هل هذا الوصف مختص بالله؛ لا يشركه فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل؟ أم جعل لغيره قسط منه؟!.

فأما المسلمون، أتباع الأنبياء، فإجماعهم على أنه مختص ، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:25] .

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده(55) .

8- ربط قضايانا المعاصرة بالتوحيد

فمن أهم ما يجب أن يعني به العلماء وطلاب العلم والدعاة أن يربطوا قضايانا المعاصرة وكل ما يجد على الساحة المحلية أو الدولية بالتوحيد، ويبين حالها من حيث الموافقة أو المخالفة وبخاصة أن هناك كثير من المستجدات المتعلقة بالولاء والبراء، والتي تهدف إلى تمييع العقيدة.

ونذكر هنا بعض الأمثلة من تلك المستجدات:

دراسة القوانين الوضعية وتدريسها والتي أدخلت مناهجها ضمن العديد من المعاهد والكليات في العديد من بلاد العالم الإسلامي.

وقد تكلم حول هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وفصل القول فيها، وأقسام الدارسين وبين حكم كل قسم من الأقسام.

قال الشيخ رحمه الله:

---

(55) الدرر السنية (1/110-112) باختصار وتصرف.

((أما الدارسون للقوانين والقائمون بتدريسها فهم أقسام:

القسم الأول: من درسها أو تولى تدريسها ليعرف حقيقتها أو ليعرف فضل أحكام الشريعة عليها أو ليستفيد منها فيما لا يخالف الشرع المطهر أو ليفيد غيره في ذلك فهذا لا حرج عليه فيما يظهر ليس من الشرع بل قد يكون مأجورًا ومشكورًا إذا أراد بيان عيوبها وإظهار فضل أحكام الشريعة عليها، والصلاة خلف هذا القسم لا شك في صحتها وأصحاب هذا القسم حكمهم حكم من درس أحكام الربا وأنواع الخمر وأنواع القمار ونحوها كالعقائد الفاسدة أو تولي تدريسها ليعرفها ويعرف حكم الله فيها ويفيد غيره، مع إيمانه بتحريمها كإيمان القسم السابق بتحريم الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة لشرع الله عز وجل وليس حكمه حكم من تعلم السحر أو علمه غيره لأن السحر محرمٌ لذاته لما فيه من الشرك وعبادة الجن عن دون الله فالذي يتعلمه أو يعلمه غيره لا يتوصل إليه إلا بذلك أي بالشرك بخلاف من يتعلم القوانين ويعلمها غيره لا للحكم بها ولا باعتقاد حلها ولكن لغرضٍ مباح أو شرعي كما تقدم.

القسم الثاني: من يدرس القوانين أو يتولى تدريسها ليحكم بها أو ليعين غيره على ذلك مع إيمانه بتحريم الحكم بغير ما أنزل الله ولكن حمله الهوى أو حب المال على ذلك فأصحاب هذا القسم لاشك فساق وفيهم كفر وظلم وفسق لكنه كفر أصغر وظلم أصغر وفسق أصغر لا يخرجون به من دائرة الإسلام وهذا القول هو المعروف بين أهل العلم وهو قول ابن عباس وطاووس وعطاء ومجاهد وجمع من السلف والخلف كما ذكر الحافظ ابن كثير والبغوي والقرطبي وغيرهم وذكر معناه العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب الصلاة، وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله رسالة جيدة في هذه المسألة مطبوعة في المجلد الثالث من مجموعة

الرسائل الأولى، ولا شك أن أصحاب هذا القسم على خطر عظيم ويخشى عليهم الوقوع في الردة، أما صحة الصلاة خلفهم وأمثالهم من الفساق ففيها خلافٌ مشهور والأظهر من الأدلة الشرعية صحتها خلف جميق الفساق الذين لم يصل فسقهم إلى حد الكفر الأكبر، وهو قول جم غفير من أهل العلم واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية...

القسم الثالث: من يدرس القوانين أو يتولى تدريسها مستحلاً للحكم بها سواء اعتقد أن الشريعة أفضل أم لم يعتقد ذلك فهذا القسم كافر بإجماع المسلمين كفرًا أكبر لأنه باستحلاله الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله يكون مستحلاً لما علم من الدين بالضرورة أنه محرم فيكون في حكم من استحل الزنا والخمر ونحوهما ولأنه بهذا الاستحلال يكون قد كذَّب الله ورسوله وعاند الكتاب والسنة وقد أجمع علماء الإسلام على كفر من استحل ما حرمه الله وأحرم ما أحله الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة ومن تأمل كلام العلماء في جميع المذاهب الأربعة في باب حكم المرتد اتضح له ما ذكرنا.

... فالقسم الثاني: لا شك في فسقهم ، وأما القسم الثالث فإنه لا شك في كفر أهله وعدم صحة الصلاة خلفهم[56])).

[56] مقال لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في مجلة ((المجاهد)) عدد 26 -جمادى الثانية 1411هـ.

وحدة الأديان أو التقريب بينها

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليه من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى وحدة الأديان؛ دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء؛ مسجد، وكنيسة، ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد.. إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام -المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون - أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران:85]؛ والإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى - القرآن الكريم- هو آخر كتب الله نزولا وعهدا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم

يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قال الله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} [المائدة:48].

ثالثا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم؛ منها قول الله تعالى {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ} [المائدة:13]، وقوله جل وعلا: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: 79]، وقوله سبحانه: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران:78].

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل؛ وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أفي شك أنت يابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا أتباعي)). رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب:40].

فلم يبق رسول يجب أتباعه سوى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا أتباعه صلى الله عليه وسلم ـ وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك ـ كما قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 81].

ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وحاكمًا بشريعته، وقال الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ} [الأعراف: 157].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [سبأ:28]، وقال سبحانه: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:158] وغيرها من الآيات.

خامسًا: من أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافرًا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة:1]، وقال جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:6]، وغيرها من الآيات، وثبت في ((صحيح مسلم)) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لا

يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أهل النار)).

ولهذا؛ فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: ((من لم يُكفر الكافر فهو كافر)).

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى وحدة الأديان والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرٌّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة:217]،وقوله جل وعلا: { وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء:89].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة؛ إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وعلا يقول: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: 29]، ويقول جل وعلا: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة:36].

ثامنًا: أن الدعوة إلى وحدة الأديان إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل،وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك

فهي فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعًا: وتأسيسا على ما تقدم:

1- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولا، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها وتسليكها بين المسلمين، فضلا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها والانتماء إلى محافلها.

2- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين ، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق -القرآن الكريم- والمحرف أو الحق المنسوخ - التوراة والإنجيل.

3- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن السلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أوالرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله؛ تعالى الله عن ذلك، كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس بيوت الله،وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:85]، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من

الكفر وأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، في ((مجموع الفتاوى))(162/22): (ليست -أي؛ البيع والكنائس- بيوت الله،وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها كفار فهي بيوت عبادة الكفار).

عاشرًا: ومما يجب أن يُعلم أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرى الإسلام وعاقد الإيمان؛ فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: {وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة:49].

وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس، فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة يتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعائه، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة؛ وحدة الأديان، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها

بينهم.

نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راش عنا، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينًا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التطبيع:

هو مصطلح من مبتكرات الصراع العربي الصهيوني يقصد به تحويل آليات الصراع إلى آليات للمسالمة والمهادئة والتقارب بين الأطراف المتصارعة وهو يعني التبادل السلمي النشط في كافة المجالات ومن أهدافه:

1- مراجعة العقل العربي المسلم الذي يناصب اليهود العداء.

2- تصحيح تصورات المسلمين عن اليهود -حسب زعم اليهود- وإفهام المسلمين أن اليهود شعب وديع محب للسلام.

3- إحداث تغيير في نمط السلوك الإسلامي رحيال اليهود وحولتهم.

4- التسليم بالمطالب الإقليمية والسياسية.

يشمل التطبيع مجالات عدة.

وهو بالدرجة الأولى يشمل المجال الديني والثقافي والغني أي مجالات تغيير العقليات العربية والإسلامية للقبول وبإسرائيل كواقع لابد من الاعتراف به وإزالة خلقيات الصراع في العقل العربي المسلم.

العولمة:

يعرفها بعض الباحثين بأنها: ((التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يُذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية.

هذا تعريف شامل للعولمة، وكل جانب من جوانب العولمة سواء الجانب السياسي، أو الأقتصادي، أو الثقافي له أنشطته وجهود تحقيقه التي يتبناها دعاة العولمة.

وخلاصتها: إزالة الحدود والحواجز في جميع المجالات بما فيها الثقافية (أي الدينية والعقدية) والاجتماعية وغير ذلك. مما له خطره على المجتمعات الإسلامية)).

9- الاستفادة من دعوات الأنبياء، ومن تبعهم على سبيل الهدى من المصلحين والدعاة

وفي دعوات أنبياء الله صلوات ربي وسلامه عليهم أسوةٌ وقدوة .

فقد ألقي إبراهيم عليه السلام في النار لأجل دعوته إلى التوحيد.

{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61)

قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } [الأنبياء: 51-73].

ودعا يوسف عليه السلام إلى التوحيد وهو في ظلمات السجن والاعتقال: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (40) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف:36-41].

دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية[57] (661-728):

لم يخل التاريخ الإسلامي على مداره الطويل من أئمة الهدى، ورجالا التجديد والإصلاح، وأعلام الدعوة إلى الله تعالى الذين اقتدوا بالسلف الصالح عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، في العقيدة والعمل، والدعوة والإرشاد، والهمة والإرادة، والبطولة والشجاعة، والمخاطرة والمغامرة، والجهاد والكفاح، والاستهانة بالحياة الدنيا والتفاني في سبيل الله تعالى.

ومن هؤلاء الأعلام البارزين في ساحة الدعوة الذين تتجمل صفحات التاريخ الإسلامي بأعمالهم الخالدة، ومآثرهم الجليلة: العلامة المجاهد، الإمام الرباني شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى.

وقد ساعدت عوامل عدة على تكوين شخصيته النادرة ومنها:

قوة ذاكرته التي يقل نظيرها باعتراف كبار معاصريه.

قوة حجته عند مناقشة المسائل.

استحضاره نصوص الكتاب والسنة في استنباط الأحكام.

استقلاله من رواسب التعصب المذهبي، وترجيحه المسائل في ضوء الأدلة.

([57]) انظر حول دعوته رحمه الله:
-البداية والنهاية ((لابن كثير (14/132-141)))
- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية -لابن عبدالهادي .
- ((الرد الوافر)) لابن ناصر الدين.
- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الحنبلي .
- ((ابن تيمية السلفي)) لمحمد خليل هراس.

إخلاصه في تنقية العقائد من شوائب الشرك والوثنية وتفانيه في إنقاذ المسلمين من غياهب البدع والخرافات.

شجاعته النادرة في تبيان الحق، وصراحته في القول بدون خوف لومة لائم.

شخصيته المحببة لدى العامة من الناس لأجل قيامه بالنصح لهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم.

وإذا توفرت هذه المواهب الإلهية في عالم من علماء الإسلام لا ريب أنه يفعل الأفاعيل ويأتي بالأعاجيب، ويقوم بما يتقاصر دونه كبار الدعاة ويكون حقًا أشبه رجل بني في دنيا الرجال(58) .

أعماله وجهوده:

لقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية، بكل قوة وهمة، وثقة واعتماد، لمواجهة الأخطار التي داهمت البلاد الإسلامية من الداخل والخارج فشن حملة شعواء على أهل الأهواء والبدع من الزنادقة والملاحدة، والروافض والشيعة، والصوفية والمشعوذين، وحارب العقائد الشركية والمعتقدات الوثنية ونقد المسيحية واليهودية نقدًا علميًا، وفند المغالطات العلمية، والألغاز المنتشرة في الطوائف الدينية، ورد على التقليد الجامد، والتعصب الأعمى للمذاهب ، ونقى العقائد الإسلامية من الشوائب، ودعا إلى الدين الخالص، وأفتى بالجهاد ضد التتار، وحرض العامة من الناس على قتالهم

---

(58) من كلام شيخنا أبي بكر جابر الجزائري في مجلة الجامعة الإسلامية ص(169).

فضلاً عن الجنود والأمراء، وخرج بنفسه مع الجيش لملاقاتهم[59] .

منهجه في الدعوة والتجديد:

كان منهج شيخ الإسلام في الدعوة والتجديد، والتوجيه والإرشاد، هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أعلام هذه الأئمة.

ومن مميزات هذا المنهج أنه يخلو من سوابق الأنانية وحب الذات، ورواسب التعصب والتحيز، ومفاسد الجمود والاتحاد، وينبني على أتباع الأدلة من الكتاب والسنة، الذين يضمنان حياة سعيدة مستقيمة لا شقاء فيها ولا عناء ولا انحراف فيها ولا ضلال[60] .

آثار دعوته:

قال الأستاذ محمد خليل هراس: ((هذه هي دعوة ابن تيمية: إصلاح وإحياء وتجديد ، فهو بحق أبو النهضة الإسلامية الحديثة، وواضع أساسها وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهدية اقتدوا، وعلى كتبه تخرجوا))[61]

.

وقال الأستاذ أبو الحسن الندوي: ((كان القرن الثامن بحاجة إلى مثل هذا الرجل الكامل الذي يسع نشاطه كل مجال من مجالات الحياة من غير أن تتروي جهوده وأعماله في زاوية واحدة، أو تتركز على جانب واحد.

كان ذلك الرجل هو: شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي ملأ العالم

---

[59] دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ص(11).
[60] المرجع السابق ص(16).
[61] ابن تيمية السلفي لهراس ص(198).

الإسلامي بنشاط وحياة وتحركات علمية وعملية، لا تزال آثارها خالدة باقية على مر القرون والأجيال))[62] .

وقال الأستاذ مالك بن نبي : ((إن تراث ابن تيمية يكون الترسانة الفكرية التي لا زالت تمد الحركات الإصلاحية بالأفكار النموذجية إلى اليوم))[63].

دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب[64] (1115-1206هـ):

كان الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- من الأئمة المهتدين، والدعاة المخلصين الذين تتحكم فيها البدع والخرافات، والعادات والتقاليد.

ولقد جدد إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب ما أندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر الهجري، وكان مخلصًا في الدعوة إلى الكتاب والسنة وموفقًا في نشرها رغم أنوف خصومه، فبارك الله فيها، وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها كالنار في الهشيم.

وتتلخص مباديء هذه الدعوة في النقاط التالية:

-توحيد الله تعالى في عبادته، وتوحيده في ربوبيته وتوحيده في أسمائه

([62]) الحافظ ابن تيمية شيخ الإسلام الندوي.

([63]) ((لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية)) -للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ص(51).

([64]) انظر حول دعوته رحمه الله :

((حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي)) للدكتور محمد بن عبدالله السلمان .

((الشيخ محمد بن عبدالوهاب)) للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي.

وصفاته، وإقرار هذا المبدأ قولاً وعملاً، والبعد عن جميع مظاهر الشرك والوثنية، والرفض والتصوف والإلحاد والزندقة، التي تكدر نقاوة الإسلام وتشوه جماله.

التمسك بمنهج السلف المنبني على الكتاب والسنة في العقائد والأحكام مع تقرير مبدأ الاجتهاد، والرد على التقليد الأعمى.

الجهاد في سبيل الله، لنشر الدعوة حينًا ، ولحمايتها حينًا آخر.

مصادر هذه الدعوة:

اعتمد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته على ثلاثة مصادر هامة:

أولها: القرآن الكريم.

ثانيها: السنة النبوية.

ثالثها: آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام.

غاية هذه الدعوة:

غايتها إعادة الإسلام إلى نقاوته الأولى، وإزالة أنقاض البدع والخرافات التي غشت العقيدة الصحيحة.

آثر هذه الدعوة:

لقد انتشرت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب انتشارًا واسعًا، وتأثر بها كثير من الدعاة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي شرقًا وغربًا.

وكانت لهم صلات وجولات صد مظاهر الشرك وضد البدع والتقاليد التي كانت تسود المجتمع المسلم.

قال الزركلي في ((الإعلام)): ((وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر ، والعراق والشام وغيرها ...)) (65) .

وقال عبدالكريم الخطيب في كتابه ((محمد بن عبدالوهاب)): ((والذي لاشك فيه أن الدعوة الوهابية كانت أشبه بالقذيفة الصارخة تتفجر في جوف الليل والناس نيام.

كانت صوتًا قويًا راعدًا أيقظ المجتمع الإسلامي كله، وأزعج طائر النوم المحوم على أوطانهم منذ أمدٍ بعيد))(66) .

وقال محمد ضياء الدين الريس: ((وهذه الحركة كانت نهضة أخلاقية سالمة، ووثبة روحية جريئة، ودعوة إلى دين الحق والإصلاح والواقع أن كل حركات الإصلاح التي ظهرت في الشرق في القرن التاسع عشر ، كانت مدينة للدعوة الوهابية لتقرير هذه الأصول.

ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل من هذه الحركات إما عن طريق الاقتباس، أو المحاكاة، أو مجرد التأثر)) (67)

وهكذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب صحوةٌ عارمة مؤثرة ودعوةٌ تجديدية رائدة ينبغي أن تدرس وأن يستفاد منها في سبيل نشر المنهج الصحيح والدين القويم والعقيدة الصافية.

10- إنكار المنكرات المخالفة للتوحيد والتي قد تشيع أو تظهر في

([65]) الشيخ ((محمد بن عبدالوهاب)) لابن حجر آل بوطامي (102-107).
([66]) المصدر السابق ص(136).
([67]) المصدر السابق (134-135).

قال عز وجل {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110].

((فهذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وأفاقوا بها سائر الأمم وأنهم خير الناس للناس نصحًا، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليمًا، وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان))(68) .

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم الشيء الكثير من صور إنكار المنكرات المخالفة للتوحيد ذلك علي سبيل المثال لا الحصر: عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي -رضي الله عنه- : ((ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن لا تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته))(69).

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: ((أما الصور، فلمضاهاتها لخلق الله، وأما تسوية القبور، فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله فصرف اللهم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته، ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور...)) (70) .

وعن أبي بشير الأنصاري -رضي الله عنه- : ((أنه كان مع رسول الله

---

(68) تفسير السعدي (409/1).

(69) رواه مسلم (969)، وأبو داود (3218) والترمذي (1049) والنسائي (88/4).

(70)

صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قُطعت))(71).

قال البغوي في شرح السنة: ((تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصم من الآفات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها، وأعلمهم أنها لاترد من أمر الله شيئًا.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: كانوا يقلودون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بإزالتها إعلامًا لم بأن الأوتار لا ترد شيئًا)) .

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت ، فقال: ((أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده))(72).

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خَيطًا من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف:106]

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: ((فقطعه، فيه إنكار هذا، وإن كان

---

(71) رواه البخاري (98/6)، ومسلم (2115)، وأبو داود (2552) وأحمد (216/5) ومالك (937/2).

(72) رواه النسائي في ((عمل اليوم والليلة)) رقم (988) بلفظ ((أجعلتني لله عدلاً)) ورواه أيضًا أحمد في المسند (214/1و 283و 347) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- ، ورواه ابن ماجة رقم (2117) في الكفارات، باب النهي أن يقال: شاء الله وشئت بلفظ: ((إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت)) ، ورواية ((أجعلتني لله ندًا)) من رواية ابن مردوية قال الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط: حديث حسن.

يعتقد أنه سبب فإن الأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، مع عدم الاعتماد عليه، فكيف بما هو شرك كالتمائم والخيوط والخرزو الطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال))(73).

وللعلماء الذين هم ورثة الأنبياء جهود مباركة ومواقف مشرفة في الذب عن عقيدة التوحيد، ورد كل ما يخالفها.

ومن العلماء العاملين الذين تصدوا لإنكار المنكرات المخالفة للشريعة وممن ذادوا عن حمى التوحيد العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله والمستعرض لمجموع فتاواه يجد الكثير والكثير من الرسائل والفتاوى والمراسلات في إنكار الكثير من المنكرات وبخاصة منكرات تمس التوحيد وتقرح في كماله ، ومن ذلك التحاكم إلى غير شرع الله وحول هذا الجانب المهم من جوانب التوحيد كتب رسالته المشهورة باسم ((تحكيم القوانين)) حيث كتبها مبينًا خطورة التحاكم إلى غير شرع الله وبين أقسام المتحاكم، والأحوال التي يكون فيها التحاكم كفرًا أكبر والأخرى التي يكون فيها التحاكم كفرًا أصغر حيث بدأها رحمه الله بقوله: ((إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين ، في الحكم به بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضةً ومعاندة لقول الله عز وجل {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59].

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكموا النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم نفيًا مؤكدًا بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى:

---

(73) ص(161).

{فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:65]

ولم يكتف تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول صلى الله عليه وسلم حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم بقوله جل شأنه: {ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ} والحرج الضيق بل لابد من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضًا هنا بهذين الأمرين حتى يضموا إليهما (التسليم) وهو كمال الانقياد لحكمه صلى الله عليه وسلم بحيث يتخلوا هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتم تسليم، ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد وهو قوله جل شأنه { تَسْلِيمًا} المبين أنه لا يكتفي ها هنا بالتسليم. بل لابد من التسليم المطلق ...))(74).

وفي نصيحة له رحمه الله مع مجموعة من العلماء جاء فيها:

((وإن من أقبح السيئات وأعظم المنكرات التحاكم إلى غير شريعة الله من القوانين الوضعية والنظم البشرية، وعادات الأسلاف والأجداد التي قد وقع فيها الكثير من الناس اليوم وارتضاها بدلاً من شريعة الله التي بعث بها رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ، ولا ريب أن ذلك من أعظم النفاق، ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق وأحكام الجاهلية التي أبطلها القرآن وحذر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ

---

(74) انظر مجموع فتاواه (12/284-285).

ضَلاَلاً بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا} [النساء: 60-61].

وقال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 49-50].

وقال عز وجل: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44].

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة:45].

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة: 47].

وهذا تحذيرٌ شديد من الله سبحانه لجميع العباد من الإعراض عن كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتحاكم إلى غيرهما، وحكم صريح من الرب عز وجل على من حكم بغير شريعته بأنه كافر وظالم وفاسق ومتخلق بأخلاق المنافقين وأهل الجاهلية، فاحذروا أيها المسلمون ما حذركم الله منه، وحكموا شريعته في كل شيء، واحذروا ما خالفها وتواصوا بذلك فيما بينكم وعادوا وابغضوا من أعرض عن شريعة الله أو تنقصها أو استهزا بها أو سهل في التحاكم إلى غيرها، لتفوزوا بكرامة الله وتسلموا من عقاب الله، وتؤدوا بذلك ما أوجب الله عليكم من موالاة أوليائه الحاكمين بشريعته الراضين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداة أعدائه الراغبين عن شريعته المعرضين عن كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله المسئول أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يعيذنا وإياكم من مشابهة الكفار والمنافقين، وأن ينصر دينه ويخذل إعلاءه إنه على كل

شيء قدير)) (75).

وقد صنف الإمام محمود شكري الألوسي رسالةً ينكرُ فيها بعض معتقدات العامة المخالفة للتوحيد.

حيث صنف كتاب ((القول الأنفع في الردع عن زيادة المدفع))، وكان هذا المدفع في بغداد أمام الثكنة العسكرية، وهو مصنوع من النحاس، يسمى (طوب أبي خزامة) صنع في عهد السلطان مرادخان سنة (1047هـ).

وكانت العامة تعتقد بهذا المدفع اعتقاد الجاهلية باللات والعزى ومناة الثالثة الآخرى، فتنذر له وتعلق عليه التمائم، وتقبله، وتتبرك به إلى غير ذلك من المنكرات.

فحمل ذلك الشيخ الألوسي على كتابة هذا الكتاب بحث فيه تاريخ المدفع، وما يعتقد الناس فيه من الاعتقادات الفاسدة، وقدمه إلى وإلى بغداد ليمنع العوام من زيادرته(76) .

وممن كانوا يصدعون بكلمة الحق نصحًا لله ولرسوله وللمؤمنين الشيخ العلامة أحمد بن محمد شاكر -عليه رحمة الله- وقد كان هذا دأبه وديدنه في كثير من كتاباته ومقالاته وتعليقاته، ونسوق ها هنا نموذجًا من ذلك نشرة في مقاله الموسوم بكلمة حق وهو مقال كان ينشره في مجلة ((الهدي النبوي)) كتب رحمه الله -تحت عنوان: ما هذا؟ أدعوه سافرةٌ لعبادة العِجل؟

رأيتُ في مجلة الاثنين ، في العدد 855 الصادر يوم 30 أكتوبر سنة 1950 في الصفحة الثانية منه ، صورًا بشعة، لامرأة مع أوتان في المتحف

---

(75) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (260-259/12).
(76) أعلام العراق.

الروماني التابع لبلدية الإسكندرية، وفي إحدى هذه الصور تقف المرأة أمام تمثال ((العجل أبيس)) ضامة كفيها، رافعتهما إلى قريب من وجهها أمام وجه العجل، على صورة المبتهل عند بعض الطوائف غير الإسلامية.

وقد كتبت مجلة الإثنين بجوار هذه الصورة الوثنية ما مثاله بالحرف الواحد: ((صلاة صامتة عند الإله الصامت أبيس ... إنها ترديد لصلوات الأقدمين))!!

وأظن أن ليس بد هذا الكلام كلامٌ في عبادة وثن عبادة صريحة، لا تحتمل تأويلاً ولا مجازًا ولا مغالطة.

وهذه المرأة التي تعبد العجل، لا ندري أمسلمة هي أصلاً أم نصرانية أم يهودية؟ وأيًّاما كانت فإنه هذه الأديان الثلاثة هي أديان التوحيد، التي جاء أنبياؤها مرسلين من الله سبحانه وتعالى حربصا على الوثنية والوثنيين، جاؤا بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

بل إن أولهم موسى عليه السلام جاء جربصا على الفراعين الوثنيين عُباد العجول وقد ارتد ناسٌ من أتباعه في حياته ، بعد خروجهم من مصر حين ذهب لمناجاة ربه، فاصطنعوا من حليهم {عجلاً جسدًا له خوار} كما أخبرنا الله عنهم في كتابه الكريم وقال الله عنهم: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} [الأعراف: 152] .

وقص علينا ربنا عن موسى عليه السلام أنه قال لصانع العجل الذي أضل بعض قومه {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} [طه: 97].

ولن يستطيع أحد ممن يؤمن بدين من أديان التوحيد أن يتأول أو يتمحل

بالباطل لإجازة ((صلاة)) أمام العجل أبيس ((ترد يدًا لصلوات الأقدمين)) مهما يكن لديه من جرأة أو تهجم، حتى لو بلغ في ذلك الغاية.

ولتعلم هذه المرأة التي وقفت هذا الموقف السيء، أنها بما سنعت خرجت من كل دين من أديان التوحيد، جادةً كانت فيما ارتكبت أو هازلة، وأنها ارتكست في حمأة الوثنية المدمرة للأديان، وأنه لا منجاة لها مما تستتبعه الردة من آثار في الدنيا والآخرة، غلا أن تتوب توبة نصوحصا. وأني أقول ذلك مخلصًا ناصحًا لها، جاهلاً كل شيء عن شخصها وعن مركزها وعن بيئتها، وأني أقوله لها أيًاكانت هي من الناس وليعلم أهلوها هذا، ورجالها وولاة امرها، وليضربوا على يديها، وليحجزوها عن هذا العبث بالأديان، عالمة كانت أو جاهلة.

ثم إن لي كلمة -بعد هذا- مع مجلة ((الإثنين)) ، بل مع ((دار الهلال)) كلها. فما يخدع مثلي حتى يظن أن هذه الصورة البشعة جاءت عفوًا ومصادفة، إنما هي -فيما أرى- خطة مصطنعة، اصطنعها مصور الدار ليأتي بشيء فني ((رائع)) في نظره، تقليدًا وجهلاً، دون أن يفقه شيئًا مما وراء ذلك من أثر في دينه ودون أن يفقه أن ليس معنى ((حرية الأديان))- في هذا البلد المسلم أهله ودولته - أن تعلنى ((دار الهلال)) الدعوة الساخرة الصريحة إلى الوثنية وإلى عبادة العجل))[77] .

11- الرد على دعاوى المناوئين لدعوة التوحيد ورد شبهاتهم وبيان تلبيساتهم.

فإن الله عز وجل قد تعهد بحفظ دينه فقال عز وجل {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

([77]) كلمة حق ص(81-83).

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:9]

ومن حفظ الله لدينه قيام أهل العلم بدراسة علوم الشرع وتعليمها ونشرها.

ومن ذلك الرد على المخالفين للشرعة الجائرين عن مستقيم الملة، من أهل الإلحاد والابتداع.

والرد على المخالف والمناويء من ((حراسة الدين وحمايته من العاديات عليه ، وعلى أهله، من خلال هذه الوظيفة الجهادية)) التي دأبها الحنين إلى الدين والرحمة بالإنسانية؛ لتعيش تحت مظلته ، تكف العدوان، وتصد المعتدين، وتقيم سوق الأمر بالمعروف ورأسه ((التوحيد)) ، والنهي عن المنكر وأصله الشرك.

وتحافظ على وحدة الصف، وجمع الكلمة، ومد بشاشه الإيمان وسقيا ترقرق ماء الحياء.

وتقيم: طول الإسلام وقوته وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون وتحطم الأهواء ولو كره المبتدعون.

والفجور ولو كره الفاسقون.

والجور ولو كره الظالمون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان منزلة هذه الوظيفة:

((فالمرْصَدُوْن للعلم، عليهم للامة حفظ الدين، وتبليغه، فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين؛ ولهذا قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ} [البقرة:159] فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم))

[78].

وقال ابن القيم -رحمه الله- في موقف أهل السنة من دفع البدعة: ((واشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها، من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم ، والعدوان؛ إذ مضرة البدع. وهدمها للدين، ومنافاتها له: أشد)) [79].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله-: في مقدمة كتابه الرد على المخالف من أصول الإسلام: ((فالرد من أهل السنة والجماعة، على المبتدعة، أهل الأهواء المتسببين إلى الملة، هو رأس في المراد لكن المراد هنا، ما هو أوسع من ذلك مما يحوي بيان ((مشروعية الرد على كل مخالف بمخالفته المذمومة)) التي يمليها الهوى الغالب، وتمتطيه إلى أنواع المهالك ، المعاطب، بما تحمله من شرك، أو كفر أو نفاق، أو بدعة مضلة، وقد تحمل: فسقًا ، أو رأيًا مصادمًا لنصوص الوحيين ويجمع هذه فتنتان: فتنة الشُبهات، وفتنة الشهوات، وهما المعبر عنهما باسم ((ألانحراف الفكري))، ((الأنحراف السلوكي))، ويقال: ((الغزو...))، وقد تقع المخالفة بزلة عالم وفلتته بقول شاذ، أو فائل ، فارد، لاتجد له عليه تبيعًا، وهكذا من مسالك الشذوذ الأخرى، والمغادرة إلى مجاهل التَّلوُّن في دين الله، وضغط الإسلام للواقع، وتطويع الأحكام الشرعية للحياة الغربية...))[80] .

---

(78) مجموعه الفتاوى .
(79) مدارج السالكين (372/1).
(80) ((الرد على المخالف)) ص:(7-8).

في مضارِّ السكوت عن المخالف

في السكوت عن المخالفين وتخذيل المصلحين: أمور مضرة بالدِّين، والدنيا، منها:

1- نزول أهل السنة درجات بتعطيل عنصر مهم من حياتهم الوظيفية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجاهدة المبطلين.

وإذا كان هذا من أبواب الجهاد، فمن لطيف ما يستحضر، تفسير أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- الإلقاء باليد إلى التهلكة: بترك الجهاد - في قوله تعالى: {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195][81] .

2- ارتفاع أهل الأهواء على أهل السنة. ومن الغبن الفاحش أن ترتفع منزلة الكفة الفارغة بالسجلات الطائشة، على منزلة الكفة الراجحة بكلمة التوحيد الخالص.

3- مد المخالفة، وامتدادرواقها، وانتشارها: في الاعتقاد، والأقوال، والأعمال. فإن الأهواء إذا كانت في متناول كل لا قط، آلت بالأمة إلى أسرها بأغلال ما أنزل الله بها من سلطان.

4- فُشُوْ الشبهة، مداخلتها للاعتقاد الحق، وتلعبها بالقلوب كتلعب الأفعال بالأسماء.

5- وبالتالي تحريك العقيدة الحقة عن مكانتها، بعد ثباتها، فيضعف الاعتقاد

([81]) ((زاد المعاد)): (62/2)، ((تفسير ابن كثير)): (228/1)، و ((مشارع الأشواق)) لابن النحاس (526/1-527).

السليم، ويضعف سلطانه(82) .

6- ظهور المبطلين في المجامع ، وعلى درجات المنابر،واحتباؤهم على أفواه السكك؛ لمشاغبة المصلحين، والتحريش بهم، وتحريض العامة عليهم، وتكميم أفواههم بعصا السلطان، فيزداد الأمر شدة ويزداد المخالف ظهورًا.

إن المبطلين شخصيات قلقة، يورثون القلاقل بتصعيد الخلاف، وإيقاد الفتن، وإثارة المعارك، ولا يتركون أهل السنة إلا بجروح دامية، وعيون دامعة.

7- في السكوت والتخذيل: إسقاط للعقوبات الشرعية لأهل الأهواء وأهل الشهوات.

8- فيهما: إيالة المسلمين، إلى أمة ، مستسلمة، منهزمة ، مخدرة، يحتضنها أهل الأهواء، في وضع مكفهر، بظلمات متراكمة، يضل فيها الخريت، ويحار فيه الدليل.

وهذه نهاية في إغراء الإزاة لاجتياح ديار الإسلام، وإطفاء جذوته، وما بقي له من صبابة في قلوب أهله.

9- كسر الحاجز النفسي، بين السُّنة والبدعة، والمعروف والمنكر، فيستمرىء الناس الباطل، وتموت الغيرة على حرمات الدِّين، ويستعصي إصلاح الدهماء على العلماء، ويجفلون من نصحهم، ويجفونهم...

10- في السكوت عن المخالف ومخالفته، تأثيم ذوي القدرة بترك واجب

([82]) انظر ((الفتاوى)): (28/232-235).

الرد، والتفريط في حراسة الدين. مع أن السكوت بغير حق، هو في نفسه مظاهرة المجرمين. وهذا وحده من مواطن الإثم.

ومن وراء هذا: إثم الموالاة للمخالفين، وهذا أشد عامل ينقض بالنقض، على قاعدة الإسلام: الولاء والبراء.

11- تحجج العامة بالسكوت على نسبة الأهواء، والشهوات، إلى الدين.

12- من أنباء سقوط الدول، وحلول القوارع بها: ظهور أهل البدع والفجور، في لجج من أهوائهم وفجورهم، رامين إلى نثر بذور لانشقاقها، وعواصف لتمزيقها، وتقطيع وحدتها، وتصديع بنيانها.

نهذا معلوم باستقراء الأحوال على تطاول الأزمان(83) .

وخذ من قريب: ما لاذي أخذ بتلابيب ((تل أبيب)) وأنزل الغاشية على ((كاظمة)) وعلى هذا فقس...

13- وبالجملة فلو ترك، أهل الأهواء، وهم عاكفون على أهوائهم، يحترفون الكيد لهذا الدين، بسطو عظيم، ولسان غليظ، بالمسخ، والتحريف، والغمز، والتبديل، وإن ترفقوا فبصوغ عبارات، لو عصرت، لتقاطرت منها الدعوة إلى غير سبيل المؤمنين، وهكذا في حالة زحف مؤلمة، وهجمة شرسة، ولا كحال اللعانين الصخابين، بل هم المضللون بنزف المحابر على سطور ((الدفاتر)) ، وألسنة غلاظ على أعواد المنابر.

نعم: لو تُرك كل مخالف ومخالفته، وضال وضلالته، ومبتدع وبدعته، وفاسق وفسقه؛ لتجرع أهل القبلة منهم سمومًا قاتلة، وأهواء ضالة، وحياة قائمة، خافضة للملة، رافعة لقتام الشبهة، ودنس الشهوة.

---

(83) ((الفتاوى)): (511/12)، (132/2، 475).

وحينئذ فلا تسأل - ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم- عن تبدل الكفر بالإيمان، والبدعة بالسنة، والمعصية بالطاعة، والذلة بالعزة ((ولفسد فينا أمر الكتاب كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا، بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر فيه على أهله))[84].

وهذه نتيجة حتمية لمن فرط في أمر السنة والكتاب، وورث علل أهل الكتاب من السكوت، والكتمان {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة آل عمران: الآية 71].

([84]) بنحوه في ((الفتاوى)) : (233/28).

ثمرات القيام بهذه الوظيفة الشرعية

القيام بهذا الواجب الكفائي، يحقق مطالب شرعية، وثمارًا مباركة تلتمع في حياة المسلمين، التماع البرق في طيات السحاب؛ منها:

1- اتقاء المضار -آنفا- الناجمة عن السكوت، والانحسار عن مواجهة الواقع.

2- هذا نشر للسنة، وإحياء لما تآكل منها، فكما يكون نشرها بالعمل بها، والدعوة إليها، فكذلك برد العدوان عليها.

3- ومن أهلم المهمات: نصح للمخالف وضماد لجراحه، ونصح لجميع المسلمين، وكشف للغشاوة عنهم، وحماية لقيمهم من التحلل والإدغام، والدخولات وحياة الأنعام، وغيرها من رواسب الخلاف الطائش.

4- تنقية الساحة من المنكودين بالتعريف عليهم، بما خالفوا به أمر السنة والكتاب، فابتدعوا، وفجروا، ونابذوا السنة، وآذو المسلمين.

وفي هذا تحذير بالغ من الوقوع في شراكهم وحيلولة بينهم وبين ما يشتهون.

5- إن الدفع في صدور المخالفات المذمومة، وأعجازها: كف لبأسها عن المسلمين، وتضييق على ساحات الخلاف والتدابر، وإلقاء بالأهواء كالدراهم الزيوف.

6- دفع الإثم عن المسلمين بالقيام بهذا الفرض الكفائي وإعانة لهم على دينهم الحق، ورحمة بهم. وهذا من كمال الشفقة والرفق بالمسلمين، والرحمة بهم، ولهذا ألمح العلماء إلى أفضلية فرض الكفاية على غيره،

كما في ((تنبيه الغافلين))[85] لابن النحاس الدمشقي ، والله يتولى الصالحين من عباده.

7- نيل شرف الرتبة بالقيام بهذه الحسبة، للذب عن الشريعة وحملتها، وصيانتها من الدخولات وحراستها، وإنعاش الغيرة، وبعث مطلب الجهاد فيها.

---

(85) (ص/31).